ولكن لماذا انحصرت الرسالة بـ (الجبهة في الأرض المحتلة) فذلك مرده:

أنها تجربة قائمة بذاتها وإن ارتبطت صيرورة الجبهة في الوطن المحتل بصيرورة الجبهة بشكل عام، ارتباط الجزء بالكل، غير أن لهذا الجزء ميكانيزماته وسماته ومساره وخبراته ومعاركه... ولكن المتصلة بالجبهة والمسيرة الوطنية في آن. الأمر الذي يستوجب الوقوف على هذا الجزء، وأي ذكر لما هو أوسع إنما يأتي في السياق وما يخدم ويؤثر على الجزء وحسب. أي أن الأضواء تتركز على الجزء ولكن دون تجاهل الكل. وفي اللغة الحزبية تكونت الجبهة من خمسة فروع هي الأرض المحتلة – الأردن – لبنان – سوريا – الساحة الدولية، ومع تنامي حجم ودور الداخل باتت جناحين: جناح الداخل وجناح الخارج، وفي زمن الجيشان الانتفاضي ٨٨ – ١٩٩٢ أصبح الوطن المحتل الساحة الأساسية ورجحت كفة جناح الداخل الذي بات أكثر من نصف قوام الجبهة. وأيضاً لقد قصدت الرسالة ألا تعرض لبنية منظمة التحرير الفلسطينية ومؤسساتها وفصائلها، رغم أنها الشجرة، لنفس السبب، ما عدا سياقها السياسي ومعاركها بما شكل أرضية موضوعية لعمل الجبهة والنضال الوطني عموماً في الأرض المحتلة.

ولا مندوحة من تكرار القول إن الرسالة وإن احتوت على ملامح تأريخية، غير أنها لن تكون وثيقة تاريخية صارمة، ذلك أنها ستشمل ابعاداً متنوعة تتناسب مع أهدافها وإشكالياتها وأسئلتها.

ربما صحيح القول، أن التاريخ كسارة تضم أحجاراً متنوعة يصطفي الباحث ما يشاء من هذه الحجارة، بما يجعل الروايات متعددة بل متباينة في كثير من الأحيان، ولكن الرسالة تفادت هذا الفخ بالانشداد لما هو أساسي ويشكل قاسماً مشتركاً على نطاق واسع مشفوعة أحيانا بمسحة تحليلية ونقدية ومقابلات عديدة أفسحت المجال لأصحابها التحدث باسم تجاربهم.

وأكثر من ذلك، ليس ثمة انتصارات مطلقة الصحة ذلك أنها تنطوي على أخطاء ونواقص أيضاً، والعكس صحيح. وهذا سنلحظه في مرحلة العصف الثوري والتركيم التي هيمنت على معظم مسيرة الجبهة، وكيف تضخمت نواقصها وما توالد من سلبيات جديدة تحولت لمعول هدم في مرحلة الأزمة والإخفاق.